أمّا «محاكمة كتاب كليلة ودمنة»، وهي مسرحية قصيرة من مشهد واحد، فإن حكايتها تلخص الصراع الضاري في المنطقة العربية بين الكاتب الحر المدافع عن فكره وبين السلطة الظالمة التي تصر على تكميم الأفواه وقمع الرأي المخالف. وكما في الكتاب، حيث تجري الحكايات على ألسنة الحيوانات، نرى شهود المحاكمة من الحيوانات أيضاً، ولكن بعد ان يجعل المؤلف من ابن المقفع (مؤلف الحكايات) بطلاً رئيساً في المسرحية، فنراه والجند يقتادونه مغلولاً الى المحاكمة بتهمة الزندقة والخروج على طاعة السلطان، وهو ما حدث في الواقع لابن المقفع. أي ان معين أعاد تركيب الحكاية من مصدرين: الكتاب («كليلة ودمنة») وحياة المؤلف ابن المقفع. وهو، هنا، جعل ابن المقفع بطلاً من أبطال حكاياته؛ وهذا، الى حدّ ما، شبيه بما فعله المسرحي الغربي بكتاب سرفانتس دون كيشوت، حيث نرى سرفانتس نفسه، وقد أصبح أحد أبطال المسرحية، وجزءاً من صراع وحوار مع أبطاله الذين صنعهم خياله وقلمه:

أول ما أتهم به المتهم هو الرمز
لو كان أميناً،
كتب كتاباً يفهمه القاصي والداني
لكن كليلة يا مولاي ودمنة
الراوي فيه الطائر والحيوان
والسامع فيه الانسان
وكأنّا في عصر لا يقوى الواحد منا،
ان يتكلم فيه بغير الرمز
ولهذا شاع على ألسنة السوقة والغوغاء
أصبح يقرأه الخباز ويرويه الاسكافي
ويفسّره الحطاب
الفتنة يا مولاي حذار من الفتنة
حين السوقي يخاطب يا مولاي
أخاه بالرمز
فالفتنة يا مولاي حذار من الفتنة
ولهذا اتهم المتهم الماثل
بالاثمين...
خان القاموس...
وخان الناموس...(١٥).

ستظل أعمال معين بسيسو المسرحية قابلة للتحقيق على الخشبة، حتى لو احتاج بعضها الى تصرّف المخرجين. وسيظل، علينا، تأكيد الدور الريادي الذي لعبه الشاعر الراحل من أجل تأسيس حركة مسرحية فلسطينية من خلال الكتابة، حيث النص المسرحي المحلي هو الأساس في عملية خلق مسرح وطني فلسطيني، يحمل ملامحه الخاصة، ويقول كلمته الخاصة، ويسهم، إلى جانب أشكال الأدب والفن الأخرى، في صراعنا من أجل الخلاص والاستقلال.